مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها، فصلية محكّمة، العدد الثامن عشر، صيف ١٣٩٣هـ.ش/٢٠١٤م

اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم: قراءة جديدة

الدكتور شاكر العامري*

الملخص:

اختار الباري تعالى اللغة العربية لتكون وعاءً لمعجزاته وإطاراً لكراماته عن حكمة وتقدير ودراية وتدبير. وقد اختلفت آراء الباحثين في اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم وذلك لتعدد لهجات العرب وقت نزوله. فمنهم من اعتبرها لهجة قريش لكون الرسول (ص) من قريش، ومنهم من اعتبرها لغة مشتركة بين مجموعة من القبائل، ومنهم من اعتبرها لغة مشتركة بين العرب جميعاً.

يبدأ البحث بذكر شيء حول مكانة مكة المكرمة وأسواقها قبل الإسلام ثمّ يوضّح بعض المصطلحات الضرورية، وهي: اللغة، واللهجة، واللغة المشتركة، واللهجة النواة، واللغة الموحَّدة، واللغة العامة، واللغة الأدبية، ثم يعرض للآراء المطروحة، حول مسألة نزول القرآن بلهجة قريش محاولاً مناقشة المسألة من زاوية مختلفة.

وقد أثبت البحث أنّ اللهجة التي نزل بها القرآن لم تكن لهجة خاصة، لا بقريش ولا بغيرها، بل كانت لغة عامة، أو بالأحرى، هي اللغة الفصحى التي يتحدث بها العرب إلى يومنا هذا بعد إسقاط بعض التغيّرات التي طرأت عليها على مرّ التاريخ، وأنّ كافة الأدلة التي سيقت على سيادة لهجة قريش هي أدلة غير صحيحة تفتقر إلى الدقة ولا تستند إلى وثائق ومستندات قوية. كما أنّ التسليم بوجود اللغة العامة ينفي وجود المسمّيات الأخرى بالنسبة للغة العربية؛ فلا لغة مشتركة ولا لغة نواة ولا لغة أدبية ولا غير ذلك، بل لغة واحدة تستجيب لكلّ الظروف وتلبّي كافة الحاجات. كماأنّنا نستطيع، إن سلّمنا باللغة العامة، تفسير كافة الظواهر اللغوية التي حيّرت الدارسين لعربية ما قبل الإسلام، كالتشابه الموجود في الشعر الجاهلي والنصوص الأدبية الأخرى وغير ذلك.

كلمات مفتاحية: القرآن الكريم، اللهجة، اللغة العامة، لهجة قريش، اللغة العربية.

المقدمة

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لنبيّ الإسلام العظيم (ص). وقد حيّر ذاك الكتاب العظيم العرب منذ نزوله منجَّماً في مكة المكرّمة قبل أكثر من ألف وأربعمئة سنة، وقد كانوا أهل فصاحة وبلاغة

** - أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان، سمنان، إيران. (sh.ameri@semnan.ac.ir)
تاريخ الوصول: ١٣٩٢/٠٣/٠٧هـ.ش= ٢٠١٣/٠٥/٢٨م تاريخ القبول: ١٣٩٣/١٠/٢٩ هـ.ش= ٢٠١٥/٠١/١٩م

تنقاد لهم المعاني انقياداً إذا تحدثوا وتطاوعهم الألفاظ حيثما راموا وأيّ معنى قصدوا. تساعدهم في كلّ ذلك لغة حباها الله تعالى بكلّ مميزات البقاء والخلود، والمقاومة والصمود في وجه كلّ هجمة، والوقوف طوداً شامخاً أمام أيّ حملة عاتية وزوبعة مدمّرة، أزالت ثقافات كثير من الأمم، ومحت الملامح الوطنية لكثير من الشعوب. فلم يختر الباري تعالى اللغة العربية لتكون وعاءً لمعجزاته وإطاراً لكراماته اعتباطاً، بل عن حكمة وتقدير ودراية وتدبير، فإذا الآيات تنساب انسياباً وتنسكب في الروح قبل العقل، وتسحر القارئين والسامعين على السواء من قريش وسواها.

وقد كان القرآنُ الكريم، المعجزةُ الخالدة للرسول (ص)، ولايزال مرجعاً رئيساً للغة العربية لا يشكّ في نصوصه دارس. وقد أعطى ذلك الكتابُ السماوي، كتابُ الإسلام ودستورُه الرسمي، للعربية صفة رسمية، حيث جعلها لغة المسلمين أينما كانوا يتلونه بها ويرتلونه قراءة وحفظاً بلسانها ويتدبّرون آياته تفقّها وتفسيراً ويردّدونها في نصوصهم الأدبية ومحافلهم الثقافية والاجتماعية اقتباساً وتضميناً، ويلهجون بها طلباً للثواب وإعجاباً بها وتذوّقاً لحلاوتها. وقد اختلفت آراء الباحثين في اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم وذلك لتعدد لهجات العرب وقت نزول القرآن.

يهدف البحث إلى معالجة قضية نزول القرآن معالجة علمية مشفوعة بالأدلة ومناقشة مقولة شائعة بين دارسي تاريخ الأدب العربي وطالما أخذها كثير منهم أخذ المسلّمات، وهي أنّ **"القرآن قد جمع العرب على لهجة قريش بنِزوله في مكة"**[١].

أما **منهج البحث** فهو منهج وصفيّ يقوم باستعراض النصوص وتحليلها سعياً إلى الوصول إلى نتائج صحيحة اعتماداً على أدلّة نقلية وعقلية بعد طرح بعض المقدمات، فقام بتوضيح بعض المصطلحات وناقش الآراء المطروحة في هذا الصدد.

ولمناقشة تلك العبارة، أعني عبارة أنّ **"القرآن قد جمع العرب على لهجة قريش بنِزوله في مكة"**،لمعرفة مدى دقتها، يبدأ البحث بطرح بعض الأسئلة المنطقية، وهي:

١. هل تعني عبارة (جمع العرب على لهجة قريش) أنّه أجبرهم على التكلّم بلهجة قريش متناسين لهجاتهم؟[٢]

---

[١]- شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي- العصر الإسلامي**، ص٣١.

[٢]- من الملفت للنظر أنّ الدكتور طه حسين كان قد رآى هذا الرأي في كتابه الذي أحدث ضجة في العالم العربي عامة ومصر خاصة، حيث قال: "ولكني أظنّ أنك تنسى شيئاً يحسن ألاّ تنساه، وهو أنّ القبائل بعد الإسلام قد اتخذت للأدب لغة غير لغتها، وتقيدت في الأدب بقيود لم تكن لتقيد بها او كتبت أو شعرت في لغتها الخاصة، أي أنّ الإسلام قد فرض على العرب جميعاً لغة عامة واحدة هي لغة قريش. فليس غريباً أن تتقيد هذه القبائل بهذه اللغة الجديدة في شعرها ونثرها

٢. إن صحّ ذلك، ألا يعتبر قيام القرآن بذلك تحيّزاً للهجة قريش على حساب بقية اللهجات؟

٣. لماذا لم يُبدِ بقيةُ العرب من غير قريش، وهم أكثر العرب وعامّتهم، لماذا لم يُبدوا ردود أفعال حيال ذلك أو يعترضوا على عدم نزول القرآن بلهجات قبائلهم، حيث لم يسجّل لنا التاريخ ولو حادثةً واحدةً، بل نجد عكس ذلك، تسليماً ورضىً رغم أنّهم كانوا أهل عصبيّة ما فارقتهم في كثير من المواطن بعد الإسلام؟

٤. آيات القرآن قسمان: قسم مكيّ وآخر مدنيّ، كما أنّ الرسول (ص) عاش شطراً من حياته في مكة والبقية في المدينة، فهل قوم الرسول (ص) الذين نزل القرآن بلسانهم هم أهل مكة أم هم أهل المدينة (الأنصار)[١] أم هم العرب بشكل عام؟

نحن، في هذا البحث، نحاول الإجابة على تلك الأسئلة ونفرض، في هذا الصدد، فرضيتين نحاول إثبات صحتهما:

الأولى: أنّ دور القرآن في توحيد العرب على لهجة قريش لم يكن تأسيسياً، بمعنى أنّه لم يجبر العرب على التكلّم بها وترك غيرها، بل كان تحصيل حاصل لأنّه كان مفهوماً ومقبولاً من قِبَل عموم العرب.

الثانية: نزول القرآن كان متزامناً مع وصول اللهجات العربية إلى ذروةالفصاحة والبلاغة، أي عندما نزل القرآن فإنّه نزل بلغة واحدة متطورة عامّة يفهمها الجميع و لم ينْزل بلهجة خاصة.

وحول **سابقة البحث** يجب القول إنّ أكثر كتب تاريخ الأدب قد تطرّقت إلى مسألة اللغة التي نزل بها القرآن الكريم لما لتلك اللغة من صلة بلغة الشعر والخطب وغيرهما من الفنون الأدبية. لكنّ كاتبين من بين كتّاب تلك الكتب أفردا صفحات متعدّدة من كتابيهما لمناقشة اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، وهما شوقي ضيف في **تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي** وجواد علي في **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المجلد الثامن.** أما البحوث والدراسات فهناك بحث أو دراسة مستقلة نُشرت في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٤٨، ناقشت الموضوع من جميع جوانبه تقريباً، وهي: **تَكَوُّنُ العربيةِ الفصحى**للدكتور غانم قدوري الحمد،كلية التربية للبنات- جامعة تكريت، حاول الباحث فيها إثبات

←

في أدبها بوجه عام. فلم يكي التميمي أو القيسي حين يقول الشعر في الإسلام يقوله بلغة تميم أو قيس ولهجتها، إنما كان يقوله بلغة قريش ولهجتها) (طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، ص ٤٧-٤٨).

[١]- الذين قال الرسول (ص) مخاطباً لهم بعد غزوة حُنين: "لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشِعباً لسلكت وادي الأنصار وشِعبها. الأنصار شِعار والناس دِثار" (محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، ٥: ١٠٤).

نزول القرآن بلهجة قريش، حيث اعتبر أنّ عوامل التوحيد اللغوي قبل الإسلام كانت ضعيفة. وفي الوقت الذي يرفض فيه وجود عربية فصحى مشتركة قبل الإسلام، يرفض كذلك وجود لغة أدبية مشتركة قبل الإسلام، لكنّه يستثني قريشاً من ذلك. وهو يعترف بأنّ ما بناه من نظرية يخالفها واقع اللغة والأدب قبل الإسلام، وهو الشعر الجاهلي الذي جاءنا في لغة أدبية موحدة في شكلها العام.

وقد يسأل سائل عن **ضرورة البحث وأهميته** وقد أُشبع بحثاً ودراسة، فما عسى من يبحث في هذا المجال أنيقول أو يطرح منجديد لم يكن قدطُرح منقبل؟ السبب الذي حداني للخوض في هذه المعمعة هو أنّني لم أقتنع بالآراء المطروحة في هذا المجال رغم استناد القائلين بها إلى مصادر قديمة أو نظريات حديثة.هذا أولاً، وثانياً إنني حاولت طرح وجهة نظر جديدة لم يقم أحد بطرحها من قبل، تقوم على نظرة توحيدية للغة العربية تعتبر كافة اللهجات العربية فروعاً لأصل واحد ولغة عربية واحدة.

اللهجة لتي نزل بها القرآنُ الكريم

انقسم الباحثون، حول اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم، إلى فريقين؛ فريق يرى نزوله بلهجة قريش، وآخر يرفض ذلك. وقد كان أكثر القائلين بالرأي الأول من القدماء المؤيَّدين بعدد من المعاصرين الذين ينظرون لقريش بقدسية لكون الرسول (ص) من قريش. فيما كان أكثر المعارضين لتلك الفكرة من المعاصرين الذين ساروا على خطى عدد من المستشرقين أو بموازاتهم، كما أنّ هناك من رفض الرأي الأول من الأقدمين الذين يُشكّلون أقلية في هذا المجال.

فقد ذكرت بعض كتب تاريخ الأدب العربي أنّ القرآن نزل بلهجة قريش، إذ ذكر الدكتور شوقي ضيف أنّ "اللهجة الفصحى إنّما هي لهجة قريش التي نزل بها الذكر الحكيم"[1]. كما ذكرت كثير من تلك الكتب أن سبب نزول القرآن بلهجة قريش هو كونها أفصح لهجات الجزيرة العربية، إذ ذكر الدكتور شوقي ضيف أنّ أحمد بن فارس نقل عن إسماعيل بن عبيد الله أنّ "قريشاً أفصح العرب ألسنةً وأصفاهم لغةً... إذا أتتهم الوفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم... فصاروا بذلك أفصح العرب"[2].

وجاء في **لسان العرب** (مادة عرب) ما يلي: "وقال قتادة: كانت قريش تجتبي، أي تختار، أفضلَ لغاتِ العرب، حتى صار أفضلَ لغاتِها لغتُها، فترل القرآن بها"[3].

---

[1] - شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي**، ص١٣٢.

[2] - المصدر نفسه، ص١٣٣. وانظر **المزهر** للسيوطي، ١: ٢١٠.

[3] - ابن منظور ، **لسان العرب**، ص٢٨٦٥.

كما جاء في **أدباء العرب** ما نصّه: "فهذه المجامع[١]، مما لها من صبغة أدبية على حالتيها الدينية والتجارية، مشت محمودة الخطى إلى توحيد لسان عدنان، فصار الشعراء والخطباء يختارون الألفاظ التي يألفها القبائل على اختلاف لهجاتهم، ويهملون مستقبح الكلمات والانحرافات، فنشأت عن ذلك لغة أدبية مهذبة عُرفت بلغة قريش"[٢]. وقال في موضع آخر: "ونزول القرآن بلغة قريش وطّد سلطانها، وجعل كلَّ لهجة تغايرها تنهزم أمامها"[٣].

ولعميد الأدب العربي رأي جدير بالذكر في هذا المجال، حيث يقلّل منأهمية سيادة اللهجة القريشية معتبراً سيادتها في الحجاز فقط. يقول متسائلاً: "أسادت لغة قريش ولهجتها في البلاد العربيه، وأخصعت العرب لسلطانها في الشعر والنثر قبل الإسلام أم بعده؟ أما نحن فنتوسط ونقول: إنها سادت قُبيل الإسلام حين عظم شأن قريش وحين أخذت مكة تستحيل إلى وحدة سياسية مستقلة مقاومة للسياسة الأجنبية التي كانت تتسلط على أطراف البلاد العربية. **ولكن سيادة لغة قريش قبيل الإسلام لم تكن شيئاً يُذكر ولم تكن تتجاوز الحجاز.** فلمّا جاء الإسلام عمّت هذه السيادة وسار سلطان اللغة واللهجة مع السلطان الديني والسياسي جنباً لجنب"[٤].

وسند القائلين بنزول القرآن بلسان قريش قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبيِّنَ لهم﴾[٥]، والرسول (ص) من مكة، ومكة موطن قريش، فلابد من نزول كتاب الله بلسانهم على اعتبارهم قوم الرسول الكريم (ص)، وليكون القرآن حجة عليهم وإعجازاً لفصحائهم، فعلى هذا تكون لغة القرآن لغة قريش[٦].

وبما أنّ لهجة قريش ستكون محوراً مهما من محاور البحث، فلابأس بذكر شيء حول مكانة مكة المكرمة وأسواقها قبل الإسلام، ثمّ علينا توضيح الفرق بيناللغة واللهجةوبعض المصطلحات الضرورية التي سنأتي على ذكرها واحدةً واحدةً لأهميتها، وهي: اللغة المشتركة، واللهجة النواة، واللغة الموحَّدة، واللغة الأدبية، واللغة العامة.

---

[١]- المقصود الأسواق القريبة من مكة.

[٢]- بطرس البستاني، **أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، ص٣٢- ٣٣.

[٣]- المصدر نفسه، ص٣٣.

[٤]- طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، ص٤٩- ٥٠.

[٥]- إبراهيم: ٤.

[٦]- جواد علي، **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ٨: ٦٠٥.

مكة عاصمة الجزيرة العربية

بعد بناء الكعبة من قبل إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل (عليهما السلام) أسكن الخليل (ع) بعض ذريته في وادٍ غير ذي زرع عند بيت الله المحرم وهوت إليهم أفئدة من الناس كما أخبر الباري تعالى. ولم تكن مكة مركزاً اقتصادياً فحسب، بل كانت مركزاً ثقافياً مهماً كانت تقام فيه الندوات والمؤتمرات الشعرية والنقدية ويتبارى الشعراء فيه، فيعلو قدر المغمورين ويسمو ذكر الخاملين، وكان من بينهم نقّاد تُحترم آراؤهم ويؤخذ بها أخذ البديهيات، يذكرون منهم النابغة والخنساء.

وكانت سوق **عكاظ** أهمّ سوق في الجزيرة العربية على الإطلاق وهي قريبة من مكة، حيث تقع بين **نخلة** و**الطائف**. وهي سوق وُجِدت بسبب موسم الحج، إذ كانت تقام في شهر ذي القعدة. يقول مصطفى صادق الرافعي في **تاريخ آداب العرب** عن تلك السوق: "تحضرها قبائل العرب كلّها لأنها متوجّههم إلى الحج الأكبر"[١].

وإلى جانب سوق عُكاظ، كانت هناك أسواق أصغر يذكر منها مصطفى صادق الرافعي خمس عشرة سوقاً تقع كلها في شرق الجزيرة وجنوبها وجنوبها الشرقي، ما عدا سوقاً واحدة هي **دَومَة الجَندل** تقع في شمال الجزيرة وشمال غرب نجد تُقام في أول يوم من ربيع الأول، وسوقان قرب مكة، هما **ذو المجاز** في عرفة، و**ذو المجنّة** قرب أيام موسم الحج، والأسواق الباقية هي: **هَجَر** في البحرين في شهر ربيع الثاني، و**عُمان** في أواخر جمادى الأولى، و**المُشَقّر** في البحرين في أول يوم من جمادى الآخرة، و**صَحار** في عُمان في العاشر من رجب لمدة خمسة أيام، و**الشّحْر** بين عُمان وعدن في النصف من شعبان، و**عَدن أبين** وهي جزيرة في اليمن، و**حضرموت** في النصف من ذي القعدة، و**صنعاء** في اليمن، و**حباشة** في ديار بارق بين مكة واليمن في شهر رجب، و**الأُبُلّة** في البصرة، وسوق **لقه**، وسوق **الأنبار**، وسوق **الحيرة**[٢].

أمّا أهمّ دور لعبته مكة في جزيرة العرب فهو الدور الديني، حيث الكعبة التي يحجّون إليها سنوياً وهي في اعتقادهم بيت الربّ الذي يكنّون أعلى قدر من القدسية له، حيث حرّموا فيه القتل والاقتتال، بل اعتبروا ثلاثة من الأشهر التي تتعلق بالحج إلى الكعبة أشهراً حُرُماً يحرّمون فيها القتال، هي: ذو القعدة وذو الحجة ومحرّم. فقد كانوا يستعدّون لسفر الحج في الأول، ويؤدّون مناسك الحج ويتاجرون أو يتبضّعون في الثاني، ويعودون إلى قبائلهم في الثالث. وقد كانت كلّ قبيلة تحتفظ بصنم لها في

---

[١]- مصطفى صادق الرافعي، **تاريخ آداب العرب**، ١: ٧٨.

[٢]- **المصدر نفسه**، ١: ٧٧.

الكعبة، فلم تكن الكعبة ملكاً لأحد، بل كانت عامة للجميع، كأنّ الكلّ كان يعتبرها ملكاً له أو أنّ له حقاً فيها كالآخرين فكانت بذلك مظهراً أو رمزاً لوحدة القبائل المتناحرة المتفرقة. وقد كانت البطون والأفخاذ القرشية تتنافس في ما بينها للفوز بشرف خدمة الكعبة والحجاج، فتقاسموا سدانة الكعبة وعمارتها وسقاية الحاجّ[١].

اللغة الموحَّدة

كل لغة قومية تكون نواتها لهجة معينة، وتسهم في تقويتها الظروف المختلفة تسمّى اللغة الموحَّدة. واللغة الموحَّدة العربية هي لهجة قريش التي هيأتها الظروف السياسية والاقتصادية والدينية لأن تكون هي اللغة الموحَّدة لجميع العرب. وهذا الرأي تؤيده اللسانيات الحديثة التي ترى أنّ كل لغة قومية تكون نواتها لهجة معينة، وتسهم في تقويتها الظروف المختلفة[٢]. ويذهب فريق آخر من الباحثين، قدامى ومحدثين، إلى أن اللغة الموحَّدة هي لغة مختارة اشتركت جميع القبائل في تكوينها، من هؤلاء الباقلاني صاحب كتاب النكت في إعجاز القرآن[٣].

اللهجة النواة

وهي لهجة تطورت إلى لغة فصحى تتحدث بها الأكثرية بعد أن كانت محدودة بمنطقة ضيقة أو فئة معينة من الناس وذلك بفعل عوامل خارجة عنها وظروف سياسية أو اقتصادية أو دينية وغيرها. وكان **بلاشير** يميل إلى نظرية اللهجة النواة التي تنتج عنها لغة أدبية، حيث يقول: إنّ "وجود لهجة محلية رُفعت إلى منزلة لغة أدبية مؤيَّد بوقائع مماثلة في اللغتين الفرنسية والإيطالية" ثمّ يضيف قائلاً: "فهذا اللسان الشعري قد أُضيف إلى اللهجات المحلية، ويبدو أنّه يكمّلها وأُعدّ في الجملة لاستعمالات سببية أو لتعبيرات فنية عن بعض أنماط التفكير"[٤]. ولكنّه، مع ذلك، لا يؤيّد كون لهجة قريش هي اللهجة النواة التي نشأت عنها الفصحى، إذ يقول: "تعترض النظرية الإسلامية القائلة بتولّد العربية الفصحى من اللهجة المكية، باعتبارها عموداً لغوياً، صعوبات عسيرة الحلّ"[٥]. ثمّ يُردف في الصفحة التالية قائلاً: "ثم

[١]- انظر: رمضان عبد التواب، **فصول في فقه العربية**، ص٧٨- ٨٠. وانظر أيضاً: شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي**، ص٤٩- ٥٢.

[٢]- انظر: **اللغة الموحّدة ولهجات القبائل**، د. موسى مصطفى العيدان، بحث نشر بتاريخ ٢٠٠٧/٢/١ على موقع النادي الأدبي بحائل/ http://lahajat.maktoobblog.com/.

[٣]- **المصدر نفسه.**

[٤]- د.ر. بلاشير، **تاريخ الأدب العربي**، ص١٠٠.

[٥]- **المصدر نفسه**، ص٩٨.

ما هو البرهان الذي نملكه على تفوّق اللغة القرشية في شبه الجزيرة قبل ظهور القرآن؟ لا شيء يثبت أمام النقد"[١].

وينقل الدكتور رمضان عبد التواب عن فندريس قوله: "تقوم اللغات المشتركة، دائماً، على أساس لغة موجودة، حيث تُتّخذ هذه اللغة الموجودة لغة مشتركة من جانب أفراد مختلفي التكلم"[٢]. ويعتبر الدكتور رمضان عبد التواب قول فندريس السابق دليلاً على كون لهجة قريش هي اللغة النواة التي كوّنت اللغة المشتركة، إذيقول: "يمكن القول بأنّ لهجة قريش أسهمت في تكوين العربية الفصحى بعناصر كثيرة. فلا مبالغة إذن في إطلاق عبارة **لغة قريش** على اللغة العربية الفصحى"[٣].

وقد رفض تلك النظرية جواد علي بقوله: "لو كانت السيادة السياسية عاملاً في سيادة اللهجات لسادت لهجات مراكز جمعت بين القوة العسكرية والنفوذ السياسي في اليمن والعراق والشام"[٤].

اللغة المشتركة

جاء في **معجم علم اللغة النظري** أنّ اللغة المشتركة[٥] "هي لغة تشترك فيها عدّة شعوب أو بلدان أو أفراد شعب ما"[٦]. وينقل الدكتور رمضان عبد التواب عن المستشرق**فندريس**كلاماً حول اللغة المشتركة مفاده "أنها لغة وسطى تقوم بين لغات أولئك الذين يتكلمون بها"[٧]. ويرى مستشرق آخر هو **بلاشير** أنّ اللغة العربية الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم هي لغة مشتركة لقبائل محصورة ضمن نطاق مجال جغرافي ضيّق "محصور بين خطّين يمتدّ أحدهما من مسافة معدودة جنوبي مكة حتى خليج البحرين ... ويمتدّ الثاني شمالاً من ضواحي المدينة حتى شمال الحيرة ... ومن الواضح، كما نرى، أنّ قريشاً داخلة في نطاق ذلك المجال"[٨]. ويؤكّد أحمد علم الدين الجندي في بحث تحت عنوان **اللهجات العربية في التراث**، وكذلك عبده الراجحي في بحث تحت عنوان **اللهجات العربية في القرءات القرآنية**، وغيرهما من الباحثين أنّ القرآن، باعتباره جاء بلغة مثالية، قد نزل بلغة مشتركة تمثل لهجات

---

[١] - **المصدر نفسه**، ص٩٩.

[٢] - رمضان عبد التواب، **فصول في فقه العربية**، ص٨٤.

[٣] - **المصدر نفسه**، ص٨٤.

[٤] - جواد علي، **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ٨: ٦٤٤.

[5] -common language.

[٦] - محمد علي الخولي، **معجم علم اللغة النظري**، ص٤٧.

[٧] - رمضان عبد التواب، **فصول في فقه العربية**، ص٧٨.

[٨] - د.ر بلاشير، **تاريخ الأدب العربي**، ص٩٤.

القبائل، وكان النطاق الجغرافي للقبائل التي جمعوا اللغة منها يضمّ عدداً من القبائل العربية مع قبيلة قريش وكذا بعض القبائل الحجازية، وهذا يعني أنّ تلك اللغة لم تتجاوز لهجات قبائل النطاق الجغرافي[١].

اللغة العامة

هي اللغة التي يتحدث بها عامة الناس وتسود كافة مجالات الحياة وتكون مفهومة من الجميع وإن تفرعت عنها لهجات اختلفت عنها اختلافات شكلية؛ صوتية ومعجمية وغيرها، وهي، بكلمة، اللغة الفصحى**التي نتجت عنها بقية اللهجات** لكنها ترتفع فوق اللهجات ولا تميل إلى لهجة معينة، بل تقف على مسافة واحدة من كافة اللهجات، وهي اللغة التي نزل بها القرآن العظيم.ومن أشار إلى مصطلح **اللغة العامة** من الباحثين كان يؤكّد على معنى الاشتراك مع بقية الأفراد أو القبائل، أي أنهم استعملوها مرادفة للغة المشتركة. و لم أعثر على مصطلح اللغة العامة في **معجم علم اللغة النظري** ولا في غيره.

وقد تطرق الدكتور عمر فروخ إلى مسألة نزول القرآن، ولكنّه لم يعتبرها إشكالية و لم يناقشها. ورغم أنّ الدكتور عمر فروخ كان قد استعمل مصطلح اللغة العامة إلاّ أنّه اختصّ بها قبائل مضر الشمالية، بقوله: "**لغة مضر** كانت في الجاهلية اللغة العامة للعرب كلّهم"[٢]، بالضبط كما فعل الدكتور شوقي ضيف في تعميم لهجة قريش على كافة أرجاء الجزيرة العربية، إذ يفترضان سيادة لهجة معينة، وهذا لا يختلف عن النظرة القديمة إلاّ في المصداق. و لم يتعمّق فيه و لم يدرسه على أنه مصطلح، بل كان يهمه معناه اللغوي، كما أنه لم يتطرق إلى مقولة نزول القرآن بلهجة قريش و لم يناقشها، بل إنّه **كان يعتقد بنزول القرآن بلغة مضر**، حيث يقول: فإنّ لغة حِميَر (اليمن) ابتعدت كثيراً عن اللغة المضرية (العربية الشمالية التي نزل بها القرآن الكريم)"[٣].

اللغة الأدبية

وهي لغة الشعر والنثر بكافة أنواعه. ويرى الدكتور **شوقي ضيف** أنّ اللغة التي كانت سائدة في العصر الجاهلي هي "اللغة الأدبية العامة التي نزل بلسانها القرآن الكريم"[٤]. ويقول في موضع آخر من الصفحة

---

[١]- انظر: موسى مصطفى العيدان،**اللغة الموحّدة ولهجات القبائل**، بحث نشر بتاريخ ٢٠٠٧/٢/١ على موقع النادي الأدبي بحائل.

[٢]- عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي(الأدب القديم)**، ١: ٣٦.

[٣]- عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)**، ١: ٣٦.

[٤]- شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي**، ص١٢١.

نفسها: "يدلّ ما بين أيدينا من شعر جاهلي دلالة قاطعة على أنّ القبائل العربية الشمالية اصطلحت في ما بينها على لهجة أدبية فصحى كان الشعراء، على اختلاف قبائلهم وتباعدها وتقاربها، ينظمون فيها شعرهم. فالشاعر حين ينظم شعره يرتفع عن لهجة قبيلته المحلية إلى هذه اللهجة الأدبية العامة"[١]. ويؤكّد أنّ هذه اللغة هي لهجة قريش، وذلك في معرض ردّه على الدكتور طه حسين، حيث يقول: "وقد مرّ بنا في غير هذا الموضع أنّ لهجة قريش عمّت في الجزيرة منذ أوائل القرن الثالث الميلادي واتخذها الشعراء لغة أدبية لهم، ينظمون فيها أشعارهم مرتفعين غالباً عن لهجات قبائلهم"[٢].

ونرى مثل ذلك لدى **بلاشير** الذي يعتبر اللغة الأدبية أو لغة الشعر الجاهلي هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، حيث يقول: "وليس لدينا أسباب قوية تجعلنا نستبعد [لغة الشعر] أن تكون لغة الوحي المنزل على محمد [ص]"[٣].

كما نرى **بروكلمان** يعتبر لغة الشعر الجاهلي لغة فنية فوق اللهجات بقوله: "ولكنّ هذه اللغة لم تكد تكون لغة جارية في الاستعمال العام، بل كانت لغة فنية قائمة فوق اللهجات وإن غذتها جميع اللهجات"[٤]. وفي الصفحة التالية، يوضّح تلك اللغة الفنية بقوله: "وقد استوعبت لغة الشعر هذه كلّ خصائص الأصل اللغوي السامي أكمل استيعاب وإن لم تحتفظ في جميع نواحيها بأقدم الصيغ والقوالب. ولم تضارعها لغة من نسلها السامي في مرونتها ودقتها في التعبير عن العلاقات التركيبية"[٥].

كما أنّ الدكتور **رمضان عبد التواب** يعتبر اللغة المشتركة هي اللغة الأدبية، وذلك بقوله: "إنّ اللغة المشتركة لم تنتشر- على ما نرجّح- إلاّ بين الخاصة فقط من أبناء القبائل المختلفة، وهم أولئك الشعراء والخطباء"[٦]. وهذا تناقض واضح وخلط بين المفاهيم! فإذا سلّمنا بهذا القول فما هي لغة عامة العرب، وهم الأكثرية قطعاً؟

والظاهر أنّ شوقي ضيف وبلاشير وبروكلمان قد خلطوا بين أربع مقولات: اللغة الأدبية- اللغة العامة- لهجة قريش- لغة القرآن. ونقول في توضيح ذلك: إنّ القول بوجود لغة أدبية يفترض وجود

[١]- المصدر نفسه، ص١٢١.

[٢]- المصدر نفسه، ص١٧٢. والجدير بالذكر أنّ الدكتور طه حسين يرى، في رأيه الذي مرّ في هامش ص ٢، أنّ اللغة الأدبية لقريش قد سادت الجزيرة العربية بعد الإسلام وليس قبله.

[٣]- د.ر. بلاشير، **تاريخ الأدب العربي**، ص١٠٠.

[٤]- كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ١: ٤٢.

[٥]- المصدر نفسه، ١: ٤٣.

[٦]- رمضان عبد التواب، **فصول في فقه العربية**، ص٧٩.

لغة غير أدبية ولكنها فصحى، وهذا صحيح، لكنّ أولئك النفر يعنون بغير الأدبية لهجة عامية يتحدّث بها عامة الناس تختلف عن الفصحى، كما هو حال اللهجات العربية اليوم، بينما نرى، من خلال النصوص المختلفة، أنّ كافة الناس قبل الإسلام وحين نزول القرآن كانوا يتحدّثون بلغة واحدة فصحى و لم يتحدّثوا بلهجة عامية. يدلّ على ذلك ما ذكره شوقي ضيف نفسه في معرض ردّه على المستشرق **فولرز** الذي زعم أنّ القرآن نزل بلهجة قريش التي كانت غير معربة وكانت تختلف عن لهجة الشعر الجاهلي التي كانت خاضعة لقواعد النحو والعربية، حيث قال: "ومما يُثبت بطلان رأي فولرز أيضاً أنه لم يُعرف عن قبيلة من القبائل الشمالية أنها اتخذت لهجة دارجة خالية من قواعد النحو والعربية"[١]. كما أنّ رأي الدكتور عمر فروخ، أعني قوله إنّ اللغة الشمالية كانت لغة الشعر في الجاهلية، حيث قال: "وكان جميع العرب الذين كانوا يسكنون **النصف الشمالي من شبه الجزيرة**، في البحرين واليمامة ونجد والحجاز- سواء أ كانوا ينتسبون إلى مضر أو إلى اليمن- **يتكلّمون لغة واحدة وينظمون فيها أشعارهم**"[٢]، يتعارض مع رأي الدكتور شوقي ضيف المبني على أنّ العرب كانت لديهم في الجاهلية لغة أدبية ينظمون بها أشعارهم "مرتفعين غالباً عن لهجات قبائلهم". والمقصود باللغة العامة هو أنّ الناس كانوا يتكلّمون بلغة فصحى في كافة شؤونهم الحياتية، ولكنّهم لم يكونوا على مستوى واحد؛ كان فيهم الفصيح والأفصح والبليغ والأبلغ، كلّ ذلك يعتمد على قابلياتهم، بالضبط كما هي حال الشعر؛ فلدينا الشاعر والأشعر والجيد والأجود. وحتى كتاب نهج البلاغة المعروف لم يجمع كلَّ خطب وأقوال ورسائل أمير المؤمنين (ع)، بل كان **نصوصاً منتقاة** من كلّ ذلك. قال الشريف الرضي في مقدمة كتاب نهج البلاغة: "فأجمعتُ بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب، ثم محاسن الكتب، ثم محاسن الحِكَم والأدب"[٣].

ويذكر السيوطي أنّ الألفاظ القرآنية ذات الأصول غير العربية من الكثرة بحيث صُنّفت فيها كتب مستقلّة. يقول: "وقد أحصى بعض العلماء وصنّفوا في ألفاظ القرآن كتباً مستقلّه، وردّوا بعض الألفاظ إلى أصول فارسية ورومية ونبطية وحبشية وبربرية وسريانية وعبرانية وقبطية"[٤]، فهل كانت قريش تعرف كلّ تلك المفردات وتستعملها في أحاديثها؟

[١]- شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي- العصر الإسلامي**، ص١٠٥.
[٢]- عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي(الأدب القديم)**، ١: ٣٦.
[٣]- الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، ص٣٥.
[٤]- صلاح الدين أرقه دان، **مختصر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي**، ص٣٩.

تعريف اللغة

من الناحية اللغوية: قال في لسان العرب (مادة لغا): "واللُّغة: اللِّسْنُ، وحَدُّها أَنها أَصوات يُعبِّر بها كلُّ قوم عن أَغراضِهم، وهي فُعْلةٌ من لَغَوْتُ أَي تكلَّمتُ، أَصلها لُغْوَة ككُرَةٍ وقُلَّةٍ وثُبَةٍ، كلُّها لاماتُها واواتٌ، وقيل: أَصلها لُغَيٌ أَو لُغَوٌ، والهاء عوض، وجمعها لُغًى مثل بُرة وبُرًى، وفي المحكم: الجمع لُغات ولُغونَ"[١].

من الناحية الاصطلاحية: اللغة أو اللسان[٢]هي "ظاهرة بسكولوجية، اجتماعية، ثقافية مكتسبة، لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد، تتألّف من مجموعة رموز صوتية لغوية، اكتَسَبت، عن طريق الاختبار، معانيَ مقرّرة في الذهن. وبهذا النظام الرمزي الصوتي، تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل"[٣].

تعريف اللهجة

من الناحية اللغوية: قال في لسان العرب (مادة لهج): "لَهِجَ بالأَمرِ لَهَجاً، ولَهْوَجَ، وأَلْهَجَ كلاهما: أُولِعَ به واعْتادَه، وأَلْهَجْتُه به. ويقال: فلان مُلْهَجٌ بهذا الأَمْرِ أَي مُولَعٌ به ... واللَّهْجَةُ واللَّهَجَةُ: طَرَفُ اللِّسان. واللَّهْجةُ واللَّهَجةُ: جَرْسُ الكلامِ، والفتحُ أَعلى. ويقال: فلان فصيحُ اللَّهْجَةِ واللَّهَجَةِ، وهي لغته التي جُبِلَ عليها فاعتادَها ونشأَ عليها. الجوهري: لَهِجَ، بالكسر، به يَلْهَجُ لَهَجاً إِذا أُغْرِيَ به فَثابرَ عليه. واللَّهْجَةُ: اللسان، وقد يُحَرَّكُ."[٤].

من الناحية الاصطلاحية: اللهجة[٥]هي "طائفة من المميزات اللغوية ذات نظام صوتي خاص تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه المميزات جميع أفراد تلك البيئة"[٦]. أو هي "مجموعة الصفات الصوتية التي تتصف بها منطقة من المناطق وكثيراً ما تتضمّن اللغة العامية الواحدة عدّة لهجات متباينة"[٧].

وهكذا يتبيّن لنا أنْ لا فرق بين اللغة واللهجة من الناحية اللغوية، وهو ما يفسّر لنا ترادفهما في كتب اللغة القديمة، والفرق بينهما هو من الناحية الاصطلاحية. ولكنّ الدكتور رمضان عبد التواب

[١]- ابن منظور، **لسان العرب**، ص٤٠٥٠.

[2]- Language.

[٣]- إيميل يعقوب وآخران، **قاموس المطلحات اللغوية والأدبية**، ط١، ص٣٣٤. وانظر كذلك: أنيس فريحة، **نظريات في اللغة**، ط٢، ص١٤.

[٤]- ابن منظور، **لسان العرب**، ص٤٠٨٤.

[5]- Accent, Dialect.

[٦]- غالب فاضل المطلبي، **لهجة تميم وأثرها في العربية الموحّدة**، ص٣٠.

[٧]- إيميل يعقوب وآخران، **قاموس المطلحات اللغوية والأدبية**، ص٣٣٤.

يعتبر ذلك التقارب خلطاً بينهما بسبب عدم وضوح العلاقة بين اللغة واللهجة في أذهان اللغويين العرب، إذ يقول: "و لم تكن العلاقة بين اللغة واللهجة واضحة في أذهان اللغويين العرب، ولذلك نجد بعضهم يخلط بينهما خلطاً فاحشاً ويعدّ اللهجات العربية لغات مختلفة وكلّها حجّة، ومع ذلك فإنهم لم يرووا لنا من هذه اللهجات إلاّ مقتطفات مبتورة"[١].

الفرق بين اللهجات واللغة الفصحى قبل الإسلام

إنّ المعاني اللغوية للهجة واللغة تُبيّن أنّهما مترادفتان، لكنّهما تختلفان في معناهما الاصطلاحي. والواقع أنّ طبيعة الاختلافات بين اللهجة واللغة خضعت إلى عوامل تاريخية فرضت عليهما ظروفاً معيّنة أدّت إلى تغيير طبيعة العلاقة بينهما. فالاختلافات في الجاهلية وصدر الإسلام كانت محصورة بين اللهجات العربية نفسها لعدم وضوح اللغة المرجع التي يمكن أن تكون القاسم المشترك أو الفيصل بين اللهجات، فكانت كلّ لهجة لغةً مرجعاً في نفسها لذلك كانت اللهجة واللغة مترادفتين وكثر استعمال كلمة **لغة** بمعنى **لهجة** كلغة قريش أو لغة تميم وسواهما، بينما توسّعت تلك الاختلافات في العصر الحديث بين اللهجات من جهة والفصحى، التي تعتبر اللغة المرجع، من جهة أخرى. وبعبارة أخرى نجدنا اليوم نلجأ، من أجل توضيح مفهوم اللهجة، إلى تعريفها من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، بينما لا نجد فرقاً بين المفهوم اللغوي والمصطلح في الماضي[٢]، بالضبط كعدم احتياجنا إلى عرض المفهوم الاصطلاحي للغة، فما عسانا أن نقول حول ذلك، هل نقول هي ما تكلّم أو نطق به جماعة من الناس أو شعب من الشعوب أو أمة من الأمم؟ هذا هو المقصود باللغة من الناحية اللغوية كذلك، إذ لا يُشترط في اللغة أن يتكلّم بها أكثر من شخص واحد، لكنّنا لا نجد تلك المسألة على أرض الواقع لأنّ اللغة وُلِدت لتُلبّي حاجة مهمة من حوائج البشر وهي مسألة التواصل.

إنّ العلاقة بين اللهجة واللغة هي علاقة الجزء بالكلّ. ومن الطبيعي أن توجد في اللغة العربية عدة لهجات تختلف عن اللغة الفصحى في بعض المزايا والخصائص اللغوية[٣]، تلك الاختلافات بين اللهجات يُجملها عمر فروخ في أربع، حيث يقول: "وفي جميع اللغات المشهورة لَهَجات تخالف اللغة الفصحى

[١]- رمضان عبد التواب، **فصول في فقه العربية**، ص٧٣. وانظر: **المزهر**، ١: ٢٥٧.

[٢]- حيث أكّد اللغويون العرب القدماء على كون كافة اللهجات **"حجّة"** واعتبره الدكتور رمضان عبد التواب، في حديثه الفائت، خلطاً بين اللغة واللهجة.

[٣]- هذا إن وضحت اللغة المرجع، وإلاّ فالاختلافات تكون بين اللهجات أنفسها باعتبار كلٍّ منها لغة مرجعاً في نفسها. نفسها.

المكتوبة قليلاً أو كثيراً، إمّا في سقوط الإعراب أو في اللفظ والأداء أو في المفردات وفي بعض التراكيب"[١]. وبعد أن يتحدّث حول لغة العرب في الجاهلية، يتطرّق إلى معنى اللهجة قائلاً: "على أنّ هذا لم يمنع أن يكون للعرب لهجات محلية مأنوسة في قبيلة قبيلة، على أنّ معنى اللهجة هنا إنما هو استعمال ألفاظ مختلفة للمعنى الواحد في بعض الأحيان والمجيء بصيغ متباينة لتلك الألفاظ أحياناً. أما التركيب، وأما النحو والمنطق اللغوي فكانت كلها واحدة. ففي الحجاز، مثلاً، كانوا يسهّلون الهمزة فيقولون: سال، سل، وكّد، كلاكَ؛ بينما كان أهل نجد يقولون: سأل، اسأل، أكّد، كلأكَ ..."[٢].

ولعلّ عمر فروخ في حديثه أعلاه عن سطحية الاختلافات بين اللهجات العربية القديمة يشير إلى كثرة تلك الاختلافات اليوم بينها، وذلك باستدراكه "على أنّ ...". ولم يذكر الصرف الذي هو من أقوى المشتركات التي تجمع بين اللهجات العربية حتى يومنا هذا، فإذا كانت اللهجات العربية اليوم، بفعل عوامل خارجة عن نطاقها، قد خرجت عن أكثر القواعد النحوية ولم تلتزم بها فإنها، على العكس، قد احتفظت بأكثر القواعد الصرفية والتزمت بها وطبقتها في حياتها اليومية بأشكال متعددة تعود أصولها إلى تلك اللهجات القديمة. وقد يكون الدكتور عمر فروخ يعني بالمنطق اللغوي الجانب الصرفي الملازم للجانب النحوي، لا أدري!

ومما يعضد هذا الرأي، حول ضآلة الفروق بين اللهجات، هو أنّ أوجه التغاير أو التباين بين اللهجات وقتذاك لم تخرج عن هذا الحدّ، وأنّ كثيراً من الدارسين للغات العرب القديمة، والقراءات القرآنية، قديماً وحديثاً قد أجمعوا على أنّ الخلاف كان محصوراً في هذا العدد؛ إما في بنية الكلمة أو الجملة القرآنية على المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي، لأن علم اللهجات العام في اللسانيات الحديثة يرى أن الاختلافات بين لهجات (لغات) اللسان الواحد، في طور واحد من مراحل تطوره التاريخي لا تكون إلاّ في إطار نمط واحد من البنية القواعدية (الصرفية والنحوية). يقول العبدلاوي قدور: "وإذا ما حاولنا حصر هذا التغاير في اللهجات العربية القديمة من خلال القراءات القرآنية، فإننا نجده يتجلى في ما يلي: ١) الاختلاف في الشّكل والإعراب، ٢) الاختلاف في حروف الكلمة والمعنى واحد، ٣) الاختلاف في التقديم والتأخير في حروف الكلمة أو ألفاظ الجملة، ٤) الاختلاف في الزيادة والنقصان، ٥) الاختلاف في الحذف والإثبات، ٦) الاختلاف في التذكير والتأنيث، ٧) الاختلاف في الإنجاز الصوتي أي على المستوى الفنولوجي لهذه اللهجات، كالفتح

[١]- عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي(الأدب القديم)**، ١: ٣٦.

[٢]- المصدر نفسه، ١: ٣٦.

والإمالة، والتفخيم والترقيق، والهمز والتسهيل، والإدغام والإشمام والمدّ لبعض الحركات، ويُعتبر هذا العنصر الأخير أبرز عامل تجلت فيه ظواهر هذه الاختلافات بين اللهجات العربية القديمة. وأنّه من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، أن يقلّد أفراد قبيلة أصوات قبيلة أخرى في جميع كلامهم دون أن يخطئوا في بعضه على الأقل، وهذا ما يعكس السر الإلهي من التوسيع على المسلمين في قراءتهم للقرآن بسبعة أنحاء. ومما يدل على أن العنصر الفنولوجي أكبر مهيمن على العناصر الأخرى، وأنه الذي يبرز فيه أكثر هذا التباين اللهجي، أن الصحابة عرفوا الحروف السبعة قراءة على الرسول، لأن أكثرهم كانوا أميين و لم يدروا معناها إلا ممارسة وإنجازاً". ثم يخلص إلى القول: "وإذا كنا نتحسر على ضياع كثير من المصنفات الأخرى التي تطرقت للغات العرب وكلامها والتي لم يبق لدينا منها غير عناوينها أو بعض مما جاء فيها، عرفنا أنّ لغات العرب كانت غنية وثرية ... وأنّ تداخل لغات اللسان العربي وتفاعلها مع بعضها هو أكثر وأغرب مما نتصور."[١].

يؤيد هذا ما جاء في **أدباء العرب**، حيث قال: "واللسان العدناني هو الذي نستعمله اليوم في الكتابة، على ما لحقه من تحضّر وتبدّل، وبه جاء الأدب الجاهلي... وكان اللسان العدناني متعدّد اللهجات بتعدّد القبائل التي تنطق به، ولكنه لم يختلف في أحكام التركيب والتصريف والاشتقاق، بل اقتصر في تغاير لهجاته على طائفة من الأوضاع تخالفت القبائل في استعمالها، وعلى انحرافات لفظية من قلب وإبدال وزيادات"[٢].

طبيعة الاختلافات بين اللهجة واللغة ومدى تأثيرها في أصل اللغة

في كلّ دول العالم توجد لغة عامة رسمية يتحدث بها الجميع ويتفاهمون بها عندما يلتقون مع بعضهم البعض الآخر؛ يكتبون بها أشعارهم ورسائلهم وبقية نصوصهم. وقد تختلف اللغة المحكيّة أو اليوميّة أو الملفوظة عن المكتوبة بفعل عامل الزمن والمؤثرات الخارجية وقوانين الأصوات لأنّ اللغة كائن حيّ. وفي كثير من دول العالم اليوم لهجة عامة أو ما يمكن أن نسمّيه لغة الوسط المثقف التي هي حلقة وصل بين اللهجات والفصحى وعادة ما تنشأ تلك اللغة في العواصم لأنها المراكز الحضارية لتلك الدول ولأنها ملتقى جميع طوائف وشرائح المجتمع، فهي نتيجة طبيعية لتلاقي لهجات تلك الدولة وتلاقحها، لكنها ليست محدودة بالعاصمة، بل تنتشر في كافة أرجاء الدولة بعد انتشار وسائل الإعلام الحديثة، وعادة ما

[١]- **اللهجات العربية القديمة وأثرها في التراث الشعري**، موقع منبر الدكتور محمد عابد الجابري www.aljabriabed.net ، الأحد ١٣٨٨/١٢/٩.

[٢]- بطرس البستاني، **أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، ص٣٢.

تكون الفصحى أساساً لها ومنطلقاً وذلك لأنها تقترب كثيراً من الفصحى، بل تحاول تطبيق الفصحى في أكثر شؤونها. تلك اللغة التي تحاول التركيز على المشتركات لتحقيق وظيفة مهمة من وظائف اللغة هي وظيفة التواصل.

ويعتبر الدكتور عمر فروخ أنّ اختلاف اللهجات العربية في الجاهلية كان قد أفاد غناء اللغة العربية كثيراً. يقول: "ولقد كانت هذه الألفاظ المختلفة في القبائل المختلفة مألوفة- على كثرة أو قلّة- في جميع بلاد العرب ودائرة على ألسنة شعراء الجاهلية. فلما جاء أصحاب المعاجم عدّوا جميع هذه الألفاظ **عربية** عامة فضمّوها في معاجمهم من غير تفريق بينها؛ ومن هنا نشأت المترادفات الكثيرة حتى رأينا للسيف، في القاموس العربي، ألف اسم..."[١].

وبعد أن يذكر العبدلاوي قدور المراحل الثلاثة الأولى لتطور اللغة العربية، يخلص إلى: " أنّ هذه الأطوار الثلاث [الثلاثة] للسان العربي تعكس المراحل التطورية لهذه اللهجات/اللغات في مسارها التاريخي، وأن المرحلة الثالثة والأخيرة مثلت محطة الاكتمال والنهاية بالنسبة لهذه اللغة. وأنّ لهجات/لغات هذه المرحلة الأخيرة هي التي أصبحت سائدة في كل المناطق العربية من اليمن إلى مناطق الشام، مع تميّز كل لهجة بخصائص لغوية عن الأخريات حسب المجموعات القبلية، والبيئات الجغرافية، مما يعني أن التواصل اللغوي كان قائماً بين جميع القبائل العربية باختلاف مناطق تواجدها، وأن الاختلافات اللهجية كانت طبيعية، ولم تكن أبدا عائقاً لهذا التواصل والتفاهم، أي أنها كانت تمثل (لسان) العرب أجمعين."[٢].

وقد أثبت الدكتور أحمد علم الدين في بحثه حول اللهجات العربية القديمة أنّ أكثر الاختلافات التي أثبتها علماء اللغة للكتلتين اللهجيّتين الحجازية والتميمية هي اختلافات متبادلة تُشاهد في الجانبين ولا تختصّ بجانب معيّن ويذكر على ذلك عدّة أمثلة نذكر بعضاً منها، كالإمالة، والإدغام، وصيغة الفعل (استحيا). فالإمالة هي واحدة من الصفات اللغوية التي عُرفت بها بعض قبائل الكتلة التميمية في مقابل الفتح الذي عُرفت به بعض قبائل الكتلة الحجازية، لكنّ الجندي يقول: "البيئة الحجازية كانت على شيء من الإمالة، كما ... أنّ القبائل المميلة كانت على شيء من الفتح أيضاً، وهذا ما يؤكّد ما نذهب إليه دائماً من أنّه ليس بين الشرق والغرب حواجز فاصلة"[٣]. وقال حول الإدغام: "الشائع ...

[١]- عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي(الأدب القديم)**، ١: ٣٧.

[٢]- موقع منبر الدكتور محمد عابد الجابري، الأحد ١٢/٩/١٣٨٨.

[٣]- أحمد علم الدين الجندي، **اللهجات العربية في التراث**، ٢: ٣٠٩.

أنّ الإدغام في شرق الجزيرة وحدها، واستخلصتُ أنّ الغرب كان يُدغم أيضاً، وهذا ما يؤكّد ما نذهب إليه دائماً من أنّ الظاهرة الواحدة نسمع صداها في الشرق كما نسمعه في الغرب، وأنّ **الفروق بين الكلتين لم تطّرد في الكلام ولا على جميع الألسنة**"[١]. وقال حول المثال الثالث: "ونبّهتُ على خطأ تردّى فيه صاحب اللسان والمصباح، حيث رأيا أنّ القرآن لم يترل إلاّ بلغة الحجاز في صيغة (استحييتُ) بياءين، وأثبتُّ أنّ ابن محيص وابن كثير قرءا بها على لهجة تميم في القرآن"[٢].

وكان قد قال في موضع آخر: "وقد برهنتُ تاريخاً وجغرافياً ولهجياً على أنّ **شقّي الجزيرة: الشرقي والغربي واحد**، وأنّهما كوجهي الدرهم، وحدة غير قابلة للتبعيض، فهما واجهة لحقيقة واحدة"[٣].

ونجد رأياً مشابهاً لذلك لدى بلاشير الذي يعتبر الفوارق بين اللسان الشعري وبين لهجات أواسط شبه الجزيرة وشرقيّها، أو ما أسماه عمر فروخ باللغة المضرية، يعتبرها ضئيلة بقوله: "إنّ الفوارق بين هذا اللسان [الشعري] وبقية اللهجات تختلف تبعاً للمجموعات اللغوية، فالفارق ضئيل بينه وبين لهجات أواسط شبه الجزيرة وشرقيّها"[٤].

إنّ مصطلح **الفصحى** حديث لم يكن موجوداً قبل الإسلام ولا في صدره ولا في عصور الأدب العربي الإسلامية بسبب انعدام اللغة المرجع. ولكن، وبعد النهضة الحديثة والدعوة إلى إحياء التراث، وخاصة اللغة العربية الفصحى التي اندثرت كثير من معالمها بفعل عوادي الزمن، ظهرت لدينا لغة مرجع يرجع إليها كلّ العرب، في مقابل لهجات شتى. وكانت اللغة العربية في قلب الدعوة القومية التي ظهرت في القرن العشرين، بعد الحربين الكونيتين الأولى والثانية أو بينهما. فالعربية الفصحى كانت رمزاً للوحدة العربية وشعاراً لها واللهجات كانت رمزاً للتفرقة والشذوذ عن الأمة.

ومن تلاقح الفصحى مع اللهجات، ظهر مصطلح **لغة الوسط المثقف** التي هي دليل قوي على ردّ نظرية اللهجة النواة وتأكيد لمبدأ تلاقح اللهجات وعدم سيادة لهجة ما على حساب بقية اللهجات، فالقول بسيادةلهجةما لأسبابسياسيةأودينيةأواقتصادية أو غيرها يكذّبه الواقع، ولنأخذ على ذلك مثالاً.

[١] - المصدر نفسه، ٢: ٣٠٩.

[٢] - المصدر نفسه، ٢: ٣١٨.

[٣] - المصدر نفسه، ٢: ٣٠٤.

[٤] - د.ر. بلاشير، **تاريخ الأدب العربي**، ص١٠٢.

ولو طبقنا مبدأ التلاقح على مكة لتوصلنا إلى نتائج مشابهة، على أننا لا نسلّم بمبدأ التلاقح في مكة وحدها، بل يشمل جميع أجزاء الجزيرة العربية والعراق والشام لانعدام المركزية، فكانت القبائل تشكّل كلّ واحدة منها مركزاً سياسيا مستقلاً، وبذلك تكون المراكز السياسية متعددة منتشرة، وكذلك المراكز التجارية المنتشرة في شرقي الجزيرة وغربيها وجنوبيها وشماليها. وطبقاً لذلك تعددت المراكز الثقافية وانتشر الشعراء. ولم تكن رحلة بعضهم إلى عكاظ لتحكم قريش على شعره، بل كان ذلك لرغبتهم في الشهرة لكون عكاظ من أعظم تجمعات العرب، وتبيّن الشواهد التاريخية أنّ أحد الحكام المشهورين كان النابغة الذبياني، ولم يكن من قريش، كما أنّ سوق عكاظ لم تكن تخضع لإدارة قريش[١].

كما أنّ جواد علي يرفض كون اللغة الفصحى هي لهجة قريش، حيث يواجهنا بهذا الرأي، وهو أنّنا "لو أخذنا برأي أهل الأخبار، وبما ذكروه عن فصاحة **تميم** وعن كثرة وجود الخطباء والشعراء فيهم، **وعن حكومتهم في (عكاظ)**، وبما ذكروه عن **قريش** فإننا نخرج بنتيجة هي **أنّ تميماً، كانت أكثر شهرة في بضاعة الكلام من قريش، وهي نتيجة تناقض زعمهم أن قريشاً كانت أصفى العرب لغة، وأن لسانها هو اللسان العربي الفصيح الذي نزل به القرآن، وأنها كانت تجتبي أحسن الألفاظ وأعذبها من بين سائر لغات العرب حتى صار لسانها أفصح الألسنة**، ذلك بدليل استشهاد علماء اللغة بلغة تميم من نثر وشعر في شواهدهم وأدلتهم على قواعد اللغة، كثرة لا تقاس بها الشواهد التي استشهد بها العلماء على ضبط اللغة والقواعد، المنتزعة من لسان قريش"[٢].

ويعضد جواد علي رأيه السابق بقوله: "ونجد خبراً آخر يذكر أنه **كانت غمغمة في لغة قريش، والغمغمة من اللغات الرديئة** التي أخذها علماء اللغة على اللغات العربية الأخرى، فكيف تتفق الغمغمة مع ما ذكروه من صفاء ونقاء وسهولة وبيان لغة قريش"[٣].

ولا يكتفي جواد علي بذلك، بل يعتبر الفصحى هي لغة الحيرة والفرات الأوسط في العراق، حيث قال: "وحيث إنّ صاحب نصّ (النمّارة) هو الملك (امرؤ القيس)، من ملوك الحيرة، وقد كتب أصحابه شاهد قبره ... فلغة أصحابه إذن هي لغة (ال)، أي العربية الفصحى. فنحن نستطيع أن نستنبط من ذلك أنّ عرب الفرات في العراق كانوا يتكلّمون بهذه اللغة في القرن الرابع للميلاد، أي قبل أن تظهر

---

[١]- انظر: مصطفى صادق الرافعي، **تاريخ آداب العرب**، ١: ٧٨.

[٢]- جواد علي، **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ٨: ٥٨٧.

[٣]- المصدر نفسه، ٨: ٦٠٥.

سوق (عكاظ) وقبل أن يولد (النابغة) الذبياني، حاكم هذه السوق على زعم أهل الأخبار، وقبل أن تقوم قريش بالغربلة المزعومة للغة، وقبل بروز قريش وولادة (قصي) بزمن طويل"[١].

إذن لم تكن حكومة سوق عكاظ المشهورة أدبياً بيد قريش، بل كان ذلك لذبيان، وحتى الحكومة السياسية في عكاظ لم تكن لقريش، بل كانت لتميم. فقد جاء في الهامش (١) من ص٧٨ من كتاب **تاريخ آداب العرب** ما نصّه: "كانت هذه السوق [عُكاظ] تقوم في ذي القعدة، فمن كان له أسير يسعى في فدائه ومن كانت له حكومة، ارتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة، وهم ناس من **بني تميم** كان آخرهم الأقرع بن حابس"[٢].

يقوّي ما مرّ ما جاء في الإتقان للسيوطي (اختصره صلاح الدين أرقه دان)، حيث قال: "وقع في القرآن الكريم ألفاظ بغير لغة الحجازيين". وبعد أن يذكر عدداً من المفردات اليمنيّة (والعُمانية)، يُردف قائلاً: "كما وقع فيه ألفاظ بلغة همدان، وحمير، وقيس عيلان، وثقيف، وسواهم"[٣].

وينضمّ الدكتور آذرتاش آذرنوش إلى الجمع في كتابه **راههاى نفوذ فارسى در فرهنگ و زبان عرب جاهلى= طرق نفاذ الفارسية إلى ثقافة عرب الجاهلية ولغتهم**، فيقول: "إنّ الهمزة في لهجة تميم كانت تُلفظ على شكل حرف ساكن تماماً، وهي اللهجة التي راجت في العربية إلى اليوم؛ في الفصحى وفي القرآن الكريم أيضاً"[٤].

في تلك الأجواء الثقافية الدينية المتجرّدة من العصبيات والميّالة إلى التفاهم والمودّة والاحترام المتقابل، تعايشت اللهجات المختلفة سنة بعد أخرى وموسماً بعد موسم لتصل إلى ذروتها في الأعوام التي نزل فيها القرآن الكريم. وقد كانت لغة القرآن الكريم مفهومة أو شائعة بين القبائل العربية ولم يعتبروها غريبة عنهم أو دخيلة عليهم، لأنّها كانت لغة عامّة بين القبائل العربية تضمّنت كثيراً من مفردات لهجاتها وحملت نسيجاً واسعاً من خصوصياتها.

وقد آمن بمبدأ التعايش بين اللهجات العربية قبل الإسلام الدكتور أحمد علم الدين الجندي، حيث اتخذه منهجاً لبحثه القيم حول اللهجات، إذ صرّح بذلك بقوله: "لم أفصل بين لهجة وأخرى في الدرس، بل درستُها على مستوى الظواهر اللهجية والتي تجمع بين القبائل العديدة وهذا منهج يؤمن

[١]- المصدر نفسه، ٨: ٦٤٧.

[٢]- مصطفى صادق الرافعي، **تاريخ آداب العرب**، ١: ٧٨.

[٣]- صلاح الدين أرقه دان، **مختصر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي**، ص٤٠ - ٤١.

[٤]- آذرتاش آذرنوش، **راههاى نفوذ فارسى در فرهنگ و زبان عرب جاهلى**، ص١١٦.

بالأخذ والعطاء والتأثير والتأثّر، إذ لهجات القبائل كانت أشبه ما تكون بمسايل المياه والغدران لا تلبث أن تتجمّع في مصبّ واحد يجمعها جميعاً"[١].

ويؤيّده ما جاء في **فصول من فقه العربية** للدكتور رمضان عبد التواب بقوله: "وقد ازدادت هذه اللغة نموّاً وازدهاراً بنزول القرآن بها. ولسنا نوافق القائلين بأنّ نزول القرآن هو الذي وحّد العربية وأوجد اللغة المشتركة، لأنّ هذه اللغة نمت وازدهرت... قبل نزول القرآن الكريم بها؛ ولذا تخيّرها القرآن ونزل بها ليفهمه جميع الناس في شتّى القبائل العربية"[٢]، وإن كنا لا نتفق معه بشكل كامل.

وكان الدكتور آذرنوش يرفض سيادة لهجة قريش للأسباب التالية[٣]:

١. عدم خلوص لغة مكة لعاملين: الأول كونها مثابة عدد كبير من العرب من قبائل شتّى، والثاني كونها مركزاً تجارياً وكان كثير من أهلها يسافرون إلى مدن أخرى أو يرد إليها آخرون أجانب.
٢. سيطرة دولة معين على مكة لفترات متمادية وتأثير ذلك على خطّها ولغتها.
٣. أغلب قريش من سكان المدن (مكة).
٤. إنّ هذه العوامل لا تؤيد تلك الظاهرة الصوتية (سيادة لهجة قريش) التي لا سابقة لها في اللغات الأخرى، بل على العكس يمكن أن تُثبت عدم نقاء لغة مكة وخلوصها.

إذن نستطيع الاستنتاج مما مرّ أنّ القرآن الكريم، في الواقع، لم ينْزل بلهجة خاصة، بل نزل بلغة عامة يتحدث بها جميع العرب وبها يتفاهمون.وبعبارة أخرى: كلّ لهجة، بشكل عام، فيها جنبتان: عامة مشتركة وخاصة محدودة. فالعامة المشتركة، وهي الغالبة في اللهجة تشترك مع بقية اللهجات في تلكالخصائص القادمة من اللغة الفصحى التي هي المرجع. والواقع، أنه لا يمكننا الاستدلال من القرآن الموجود في أيدي المسلمين أنه نزل بلهجة قريش لأن الكاتب له كان يكتبه بلهجته والقارئ له كان يقرؤه بلهجته هو، لا بلهجة غيره، وهي لهجة الحجاز.

يؤيد هذا الكلام قول الدكتور آذرنوش إنّ "أوّل تدوين للقرآن بالعربية الفصحى (وليس بلهجة الحجاز) كان على أساس لهجة الحجاز، إذ كُتبت الهمزة مخففة، أي على شكل ياء وواو وألف وكانت تُحذف أحياناً... ثمّ أضاف الكتّاب نقطاً ملونة (غير نقط الحركات) فوق الياء والواو والألف"[٤].

---

[١]- أحمد علم الدين الجندي، **اللهجات العربية في التراث**، ٢: ٣٠٥.

[٢]- رمضان عبد التواب، **فصول في فقه العربية**، ص٧٩.

[٣]- انظر: آذرتاش آذرنوش، **راههای نفوذ فارسی در فرهنگ و زبان عرب جاهلی**، ص١١٨.

[٤]- **المصدر نفسه**، ص١١٦.

ومما يدلّ على أنّ القرآن قد نزل بلهجة عامة أو فصحى شائعة بين كافة العرب ما نشاهده من **التشابهالكبير فيالشعرالجاهلي** رغم تباعدشعرائه وتفرّقهم في قبائلمتعددة ممّا دفع طه حسين إلى الشكّ فيه ورفضه برمتّه.وهناك دليلآخر على هذا المدّعى من الشعر الجاهلي كذلك، وهو ذلك التشابه الثقافي الذي نجده لدى الشعراء الجاهليين، وخاصة من ناحية **اللغة والأصوات والبلاغة والأساليب والمعاني**، فكانوا يفهمونه ويتذوّقونه بنفس المستوى ويحكمون عليه فيرضى الجميع بذلك الحكم.

ويعتبر جواد علي مسألة نزول القرآن بلسان قريش مسألة سياسية اخترعها الأمويون إلى جانب الكثير مما اخترعوه وأدخلوه في الإسلام خدمةً لمصالحهم، حيث ينقل رأي المستشرق نولدكه في هذا الخصوص بقوله: "وقد ذهب **نولدكه** إلى أن القول بترول القرآن بلسان قريش، إنما ظهر في العصر الأموي، لإظهار عصبيته منها على الأنصار، ونظراً لكون القرآن كتاب الله فلادّعاء نزوله بلغة قريش أهمية كبيرة بالنسبة لهم، ولتأييد سياستهم المناهضة للأنصار والقحطانيين"[١].

وذهب "الباقلاني" إلى أن "معنى قول عثمان إنه نزل بلسان قريش، أي معظمه، ولم يقم دليل على أنّ جميعه بلغة قريش، قال الله تعالى: ﴿قرآناً عربياً﴾، ولم يقل قرشياً، قال: **واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولاً واحداً** يعني حجازها ويمنها"[٢].

وقال أبوحاتمالسجستاني:إنّه"نزلبلغة قريش وهذيل وتميم، والأزد، وربيعة، وهوازن، وسعد بن بكر". وذكر بعض آخر أنه نزل بلغة قريش، وهذيل، وثقيف، هوازن، وكنانة، وتميم، واليمن، وسعد بن بكر هم من عليا هوازن. معنى هذا أنه نزل بلغات عدنانية ولغات قحطانية، أي بجميع ألسن العرب[٣].

يؤيد كل ذلك ما خرج به جواد علي من نتيجة، إذ قال: "وما آية: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾[٤]، إلا دليلاً وحجة على نزول القرآن بلسان العرب، لا بلسان قريش، أو بلسان قبيلة معينة، أو قبائل خاصة. فالآية تقول: ما أرسلنا إلى أمة من الأمم يا محمد من قبلك ومن قبل قومك رسولاً إلا بلسان الأمة التي أرسلناه إليها ولغتهم، ليبين لهم يقول: ليفهمهم ما أرسله الله إليهم من أمره ونهيه وليثبت حجة الله عليهم ثم التوفيق والخذلان بيد الله"[٥].

---

[١]- جواد علي، **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ٨: ٦٠٩.

[٢]- المصدر نفسه، ٨: ٦٠٤.

[٣]- المصدر نفسه، ٨: ٦٠٠.

[٤]- إبراهيم: ٤.

[٥]- جواد علي، **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ٨: ٦٠٧- ٦٠٨.

ويضيف دليلا آخر بقوله: "ولما كان النبي عربياً، وقد نُعِت في القرآن أنه **النبي الأميّ** الذي أرسله الله إلى الأميين، ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم﴾[١]، والأميون هم العرب، العرب كلهم، ولما كان الله قد أرسله إلى قومه العرب، وجب أن يكون الوحي بلسانهم المفهوم بينهم، لا بلسان طائفة منهم، يؤيد ذلك ما ورد في القرآن الكريم نفسه من أنه نزل بلسان عربي مبين"[٢].

وكان الدكتور عمر فروخ قد استعمل مصطلح **اللغة العامة** في حديثه على اللغة العربية في الجاهلية قبيل نزول القرآن في الجزيرة العربية، حيث يعتبر لغة مضر هي اللغة العامة للعرب آنذاك. قال: "وكان جميع العرب الذين كانوا يسكنون النصف الشمالي من شبه الجزيرة، في البحرين واليمامة ونجد والحجاز- سواء أ كانوا ينتسبون إلى مضر أو إلى اليمن- يتكلّمون لغة واحدة وينظمون فيها أشعارهم. لقد رأينا شعراء الجاهلية، من أيّ المواطن كانوا، ينظمون قصائدهم بلغة واحدة في كلّ شيء، ثم يحملون تلك القصائد لِيُنشدوها في جميع أقسام بلاد العرب وفي العراق والشام، حتى في اليمن نفسها، مما يدلّ على أنّ لغة مضر كانت في الجاهلية **اللغة العامة** للعرب كلّهم"[٣]،وهذا فيه كلام، إذ يؤكد فيه على سيادة لغة أو لهجة على ما سواها.

وقال الأزهري في تهذيب اللغة: "وجعل الله، عز وجل، القرآن المنزل على النبي المرسل محمد، صلى الله عليه وسلم، عربياً، لأنه نسبه إلى العرب الذين أنزله بلسانهم، وهم النبي والمهاجرون والأنصار الذين صيغة لسانهم لغة العرب، في باديتها وقراها العربية، وجعل النبي، صلى الله عليه وسلم، عربياً لأنه من صريح العرب"[٤].

وقال أبو جعفر الطبري في تفسيره الموسوم **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** حول تفسير قوله تعالى ﴿إنّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾[٥]: "يقول تعالى ذكره: إنّا أنزلنا هذا الكتاب المبين قرآناً عربياً على العرب، لأن لسانهم وكلامهم عربي، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعقلوه ويفقهوا منه. وذلك قوله عزّ وجل ﴿لعلكم تعقلون﴾"[٦].

---

[١]- الجمعة: ٢.

[٢]- جواد علي، **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ٨: ٦٠٨.

[٣]- عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي(الأدب القديم)**، ١: ٣٦.

[٤]- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، **معجم تهذيب اللغة**، ص٣٦١- ٣٦٢.

[٥]- يوسف: ٢.

[٦]- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، ١٥: ٥٥١.

وإضافةً إلى ما مرّ من أدلة على رفض مسألة نزول القرآن بلهجة قريش، نقول:

١. عاش الرسول (ص) بعد البعثة ثلاثة وعشرين عاماً، منها ثلاثة عشر عاماً في مكة والباقي في المدينة، فكانت سُوَر القرآن وآياته على قسمين: مكيّ، وهو ما نزل بمكة، ومدنيّ، وهو ما نزل في المدينة. فمن هم قوم الرسول (ص) الذين عاش الرسول (ص) بين ظهرانيهم ونزل القرآن بلسانهم كما قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه﴾[1]، هل هم قريش الذين آذوه وأخرجوه من مكة خائفاً يترقّب وحاربوه طيلة أكثر من ثلاث عشرة سنة أم هم الأنصار الذين آزروه ونصروه والذين قال الرسول عنهم: "ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكتُ وادي الأنصار وشعبها، ..."[2]؟

٢. أورد الدكتور شوقي ضيف دليلين على سيادة لهجة قريش في أنحاء الجزيرة العربية قبل الإسلام، وذلك بقوله: "ومما يؤكِّد ذلك أنّ الوفود اليمنية التي وفدت على الرسول صلى الله عليه وسلّم لم يُحدّثنا رواة الأخبار والسيرة النبوية أنها كانت تجد صعوبة في التفاهم معه، وأيضاً فإنه كان يُرسل إليهم دعاة يعظونهم ويعلّمونهم الشريعة الإسلامية من مثل معاذ بن جبل، ولو أنهم لم يكونوا يعرفون العربية الفصحى لكان إرسال هؤلاء الدعاة عبثاً"[3]. والواقع هو أنّ هذين الدليلين يدلاّن على أنه كانت في الجزيرة العربية لغة عامة يفهمها الجميع، كانت وسيلة للتفاهم في ما بينهم، لذلك ما كان يجد الرسول العظيم (ص) أيّة صعوبة في التفاهم مع مختلف الوفود؛ يمنية أو غير يمنية، كما أنّ الصحابي الجليل معاذ بن جبل الخزرجيّ الأنصاري وغيره من الدعاة لم يجدوا صعوبة في التفاهم مع القبائل والأحياء التي أُرسلوا للتبليغ والتعليم فيها.

٣. كانت الحيرة خاصة، والعراق عامة، تحمل كافة خصوصيات السيادة اللغوية التي تدعمها القوة العسكرية والنفوذ السياسي والتقدم الاقتصادي، حيث كان ملوكها المناذرة اللخميون يُغدقون على الشعراء أموالاً طائلة لذلك كان البلاط الحيري قبلة لأفواج من الشعراء والخطباء. وبذلك بسطت الحيرة نفوذها الثقافي على الجزيرة العربية ابتداءً من نجد والبحرين. قال جواد علي في هذا الخصوص: "وإذا أضفنا إلى هذا التشجيع، السيادة السياسية التي كانت لعرب الحيرة والأنبار والقرى العربية في العراق وفي بلاد الشام على أهل البوادي، بل على أهل مكة كذلك، الذين تعلّموا خطّهم من أهل الحيرة، لزم علينا القول إنّ العربية المبينة التي دُرِّست في مدارس العراق، كانت قد تقدّمت في العراق

[1] - إبراهيم: ٤.

[2] - مصطفى صادق الرافعي، **تاريخ آداب العرب**، ١: ٧٨.

[3] - شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي**، ص١٣٤.

أكثر من أيّ مكان آخر في جزيرة العرب بالنسبة لأيّام الجاهلية، ولعلّ هذا التقدّم هو الذي أكسب العراق شرف وضع علوم العربية، وتفرّده من بين سائر الأقطار الإسلامية بجمع الشعر الجاهلي وقواعد العربية وعلوم الشعر واللغة، وإلاّ فلا يُعقل ظهور هذه العلوم في هذه الأرضين من غير ماضٍ ولا علم سابق وأسس بنى عليها المسلمون بناءهم الجديد"[1]. أقول: إضافة للحيرة، كان هناك مركز مهم سياسياً واقتصادياً، وهو الشام، بلاط الغساسنة.

بين اللغة العامة واللغة المشتركة:

هناك فرق دقيق بين المصطلحين يؤدي للخلط بينهما. ولتوضيح الفرق بين اللغة العامة واللغة المشتركة، نقول: إنّ الشِّرْكة والشَّرِكة تعني المساهمة والاشتراك بنصيب ما،فالمشترَك هو المشارَك فيه، والمشاركة ومشتقاتها تستدعي استقلال الشركاء ليساهم كلٌّ منهم بنسبة معيّنة؛ تزيد أو تقلّ. وعليه تكون اللغة المشتركة لغة ساهمت القبائل؛ جميعها أو بعضها، في تكوينها بنسب معينة، ولا تستدعي وحدة الأصل أو المنشأ للمشارَك فيه. فقد جاء في لسان العرب (مادة: شرك) قوله: "الشِّرْكَةُ والشَّرِكة سواء: مخالطة الشريكين. يقال: اشترَكنا بمعنى تَشارَكنا، وقد اشترك الرجلان وتَشارَكا وشارَك أَحدُهما الآخر... والشَّريكُ: المُشارِك. والشِّرْكُ: كالشَّريك... وفي الحديث: من أَعتق شِرْكاً له في عبد أَي حصة ونصيباً. وفي حديث معاذ: أَنه أَجاز بين أَهل اليمن الشِّرْكَ أَي الاشتراكَ في الأَرض، وهو أن يدفعها صاحبها إلى آخر بالنصف أو الثلث أو نحو ذلك... وأَشْرَك بالله: جعل له شَريكاً في ملكه"[2]. وجاء مثل ذلك في المعجم الوسيط (مادة: شرك): "شَرِك فلاناً في الأمر شِركاً وشَرِكَةً وشِرْكَةً كان لكل منهما نصيب منه، فهو شريك. (أشركه) في أمره أدخله فيه، ويقال أشرك بالله جعل له شريكاً في ملكه... (الشِّرْك) النصيب (ج) أشراك... (الــمُشترَك) ...، ولفظ مشترك له أكثر من معنى ومال أو أمر مشترك لك ولغيرك فيه حصة"[3]. وكما رأينا، فقد تمّ التأكيد في الجانب المعجمي للمصطلح على الشريك والمشترَك والاشتراك الذي ينفي الوحدة.

أما العامّ والعميم فهو الواسع الكثير الشامل الذي لا يستدعي التشتت والاشتراك، بل يفترض وحدة الأصل والمنشأ في ما عمّ وانتشر؛ وكذلك اللغة العامة. فهي تفترض وحدة الأصل أو المنشأ، أي كون العرب من أصل أو جدّ واحد ومن عائلة واحدة توسّعت على مرّ الزمن لتصير قبائل. وقد اصطحبت

[1]- جواد علي، **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ٨: ٦٤٨.

[2]- ابن منظور، **لسان العرب**، ص٢٢٤٨- ٢٢٤٩.

[3]- إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، ص٤٨٠.

كلّ قبيلة معها تراثها الثقافي الذي تُشكّل اللغة أهمّ مكوّناته، بل تكون اللغة إطاراً له، مكتسبةً من بيئتها خصائص مضافة، ولكن دون أن تبعد عن أصلها كثيراً، ما ساعد على إغناء لغتها الأم وتوسيعها كمّياً بتعدد مفرداتها ونوعيّاً بتنوّع أساليبها، تُعينها على ذلك عصبيتها في المحافظة على تقاليدها[١]. يؤيّد ذلك ما جاء في الجانب المعجمي من المصطلح، إذ قال في **اللسان** (مادة: عمم): "وشيءٌ عميم أي تامٌ... والعامة: خلاف الخاصة... ورجل مِعَمّ: يعمّ القومَ بخيرِهِ"[٢]. وجاء في **المعجم الوسيط** (مادة: عمّ): "(عمّ)الشيءُ عموماً شَمِلَ، و- النباتُ طالَ، و- الرجلُ عُمومةً صار عمّاً و- القومَ بالعطية عموماً شملهم. ويقال عمّ المطرُ الأرضَ... (العام) الشامل وخلاف الخاص. (العامة) من الناس خلاف الخاصة (ج) عوام، ويقال جاء القوم عامةً جميعاً...(العميم) كل ما اجتمع وكثر، والتامّ الطويل من كل شيء (ج) عُمّ وهي عميمة (ج) عمائم"[٣].

فاللغة العامة، إذن، لغة السواد من العرب التي تحمل تراثهم من آبائهم وأجدادهم، وقد بقيت، رغم تفرّقهم في قبائل، أقوى عاملٍ لوحدتهم وانسجامهم في أمّة واحدة، وهي تامة كاملة، قد نشرت فروعها وأغصانها في الأطراف المترامية فاكتسبت تجارب جديدة فاتّسعت آفاقها وآتت أُكُلها. فكما أنّ الحجّ إلى الكعبة المعظّمة كان يجمع العرب كلّ عام رغم تباعد مناطقهم وتشتّتها وتعدّد أديانهم وأصنامهم، فكانوا يحجّون إليه من كلّ فجٍّ عميق، كذلك كانت العربية عامل تقارب نفسيّ وثقافي، تُشعرهم بوحدتهم في مقابل غيرهم الذين أسموهم بالعجم. وما ظهور علم الأنساب وكلام الإمام السجاد (ع) في دمشق[٤] واعتزاز العرب الآن بعروبتهم، وتعصّب فريق منهم لقوميتهم، والمنظمات

[١]- رغم تفرّق العرب في قبائل مستقلّة سياسياً، إلاّ أنّ تقاليدهم ومثلهم العليا بقيت تحكمهم وهم يعتزّون بها إلى الآن. وما خطاب الإمام الحسين (ع) يوم عاشوراء لجيش ابن زياد، وهم من قبائل شتّى ولم يكونوا بعيدي عهد بالجاهلية، وذلك عندما بقي وحيداً، بقوله عليه السلام: "ويلَكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون يوم المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عُرُباً كما تزعمون". (منتديات نور العترة > قسم المنتديات الإسلامية> منتدى أهل البيت (ع)/www.noraletra.com في ٢٠١٤/١٢/٢٥- ١٣٩٣/١٠/٤)

[٢]- ابن منظور، **لسان العرب**، ص٣١١٢.

[٣]- إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، ص٦٢٩.

[٤]- بعد أن انتهى علي بن الحسين (ع) من خطبته في مجلس يزيد بن معاوية، قام إليه "رجل من شيعته يُقال له المنهال بن عمرو الطائي وفي روايةٍ مكحول صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: كيف أمسيت يا ابن رسولالله؟ فقال: ويحك كيف أمسيت؟ أمسينا فيكم كهيئة بني إسرائيل في آل فرعون،يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم (الآية)

العربية اليوم، والتي أبرزها الجامعة العربية، إلاّ شواهد على هذا المدّعى. ولعلّ هذا يفسّر لنا سبب عدم اهتمام اللغويين العرب بالفروق الموجودة بين اللهجات، من جهة، وبينها وبين الفصحى،من جهة أخرى، بل إنهم لم يشيروا للغةالفصحى التي هي اللغة المرجع. فقد أكّد اللغويون العرب القدماء على كون كافة اللهجات "**حجّة**" واعتبر الدكتور رمضان عبد التواب ذلك خلطاً بين اللغة واللهجة[1].

ولا تميل اللغة العامة إلى لهجة بعينها، حتى اللهجة النواة، بل هي لا تعترف بوجود لهجة نواة نشأت عنها لغة موحَّدة لأنّ أصل اللغة العامة هو التلاقح. أما كون لهجة ما نواةً فهو بسبب عوامل خارجة عن اللغة (جغرافية أو سياسية أو اقتصادية أو غيرها)، إضافة إلى أنّ فكرة اللهجة النواة تقوم على نظرية التطوّر من جانب واحد وترى أنّ اللهجة النواة لها حصّة الأسد من عملية التبادل اللغوي، بل ترفض عملية التبادل اللغوي التي تتساوى فيها جميع اللهجات، لذلك لا يمكن قبول كون لهجة ما نواة للغة العربية الفصحى أو العامة. لأننا إذا سلّمنا بعملية التلاقح والتبادل اللغوي (الثقافي والصوتي ...إلخ) وأنّ تلك العملية مزدوجة وعملية أخذ وعطاء فيجب أن نرفض فكرة اللهجة النواة. إضافة إلى أنّ فكرة اللهجة النواة تقوم على التطور التدريجي، بينما تقوم فكرة اللغة العامة على الارتباط والعلاقات والتلاقح مع بقية اللهجات. يؤيّد ذلك ما مرّ ذكره من قول إسماعيل بن عبيد الله الذي ذكره ابن فارس ونقله شوقي ضيف أنّ "قريشاً ... إذا أتتهم الوفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم... فصاروا بذلك أفصح العرب"[2]. ولو سلّمنا بصحّة ذلك القول فإنّه يعني أنّ قريشاً كانت تنقّح لهجتها أو أنها لم تكن لها لهجة خاصة بها، بل **كانت لهجتها منتقاة**، وهذا ما لا يقبله الواقع اللغوي الذي يؤيّد التلاقح والتبادل لا الانتقاء والتنقيح. وهنا تبرز حكمة الباري (جلّ وعلا) في إنزال القرآن في ذروة ذلك التلاقح والتبادل اللغوي. فالقرآن لم ينزل لقريش وحدها، وإن كانوا أوّل المخاطبين به، وهو عندما يتحدّث عن اللسان واللغة لا يذكر قريشاً ولا غيرها من القبائل لا تلميحاً ولا تصريحاً، بل ينصّ على أنّه نزل بلسان عربي مبين، وقد ذكر الدكتور عمر فروخ

وأمست العرب تفتخر على العجم بأنّ محمداً منها وأمست قريش تفتخر على العرب بأن محمداً منها، وأمسى آل محمد مقهورين مخذولين، فإلى الله نشكو كثرة عدونا وتفرق ذات بيننا وتظاهر الأعداءعلينا". (المجلسي، **البحار**، ٤٥: ١٧٥)

[1] - انظر: **المزهر**، ١: ٢٥٧. وانظر: رمضان عبد التواب، **فصول في فقه العربية**، ص٧٣.

[2] - انظر: ص١.

أنّ كلمة **مبين** التي تدلّ على الوضوح العام، جاءت صفة للسان أو اللغة العربية وللقرآن وللرسول اثني عشرة مرّة في القرآن الكريم[١].

يؤيد كلّ ذلك ما جاء في **أدباء العرب**، حيث قال: "واللسان العدناني هو الذي نستعمله اليوم في الكتابة، على ما لحقه من تحضّر وتبدّل، وبه جاء الأدب الجاهلي... وكان اللسان العدناني متعدّد اللهجات بتعدّد القبائل التي تنطق به، ولكنه لم يختلف في أحكام التركيب والتصريف والاشتقاق، بل اقتصر في تغاير لهجاته على طائفة من الأوضاع تخالفت القبائل في استعمالها، وعلى انحرافات لفظية من قلب وإبدال وزيادات"[٢].

نتائج البحث:

١. إنّ سبب الاختلاف في تعيين اللهجة أو اللغة التي نزل بها القرآن الكريم هو اختلافهم في مصداق كلمة **قوم** في قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبيِّنَ لهم﴾، فالقائلون بنزول القرآن بلسان قريش يعتبرون قوم الرسول هم قريش،والقائلون بعدم نزول القرآن بلسان قريش يعتبرون قوم الرسول هم العرب جميعاً.

٢. إنّ اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم لم تكن لهجة خاصة بقريش ولا بغيرها، بل كانت لهجة أو لغة عامة، أو بالأحرى، هي اللغة الفصحى التي يتحدث بها العرب إلى يومنا هذا بعد إسقاط بعض التغيرات التي طرأت عليها على مرّ التاريخ، وإنّ كافة الأدلة التي سيقت على سيادة لهجة قريش هي أدلة غير صحيحة تفتقر إلى الدقة ولا تستند إلى وثائق ومستندات مقبولة.

٣. إنّ اللغة العامة هي اللغة التي يتحدث بها عامة الناس وتسود كافة مجالات الحياة وتكون مفهومة من الجميع، وإن تفرعت عنها لهجات اختلفت عنها اختلافات شكلية؛ صوتية ومعجمية وغيرها.فهي لغة فصحى **نتجت عنها بقية اللهجات** لكنها ترتفع فوقها ولا تميل إلى لهجة معينة، بل تقف على مسافة واحدة منها، وهي اللغة التي نزل بها القرآن العظيم.

٤. تفترضاللغة العامة وحدة الأصل أو المنشأ، أي كون العرب من أصل أو جدّ واحد ومن عائلة واحدة توسّعت على مرّ الزمن لتصير قبائل. وقد اصطحبت كلّ قبيلة معها تراثها الثقافي الذي تُشكّل اللغة أهمّ مكوّناته، مكتسبةً من بيئتها خصائص مضافة، ولكن دون أن تبعد عن أصلها كثيراً، ما ساعد على إغناء لغتها الأم وتوسيعها كمّياً بتعدد مفرداتها ونوعيّاً بتنوّع أساليبها، تُعينها على ذلك

---

[١] - عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)**،، ج١، ص٣٧.

[٢] - بطرس البستاني، **أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، ص٣٢.

عصبيتها في المحافظة على تقاليدها. وإنّ ظهور علم الأنساب واعتزاز العرب الآن بعروبتهم، وتعصّب فريق منهم لقوميتهم، والمنظمات العربية الموجودة اليوم، والتي أبرزها الجامعة العربية، لهي خير شواهد على هذا المدّعى.

٥. بما أنّ التمام والكمال هما من من معاني العموم، كانت اللغة العامة، إذن، لغة تامة كاملة، قد نشرت فروعها وأغصانها في الأطراف المترامية مكتسبة تجارب غنيّة فاتّسعت آفاقها وآتت أُكُلها.

٦. إنّ القول باللغة العامة يمكنه أن يفسّر الترادف الذي كان موجوداً بين اللغة واللهجة في القديم، كما يمكنه تفسير وجود بعض الكلمات التي لم تعرفها قريش في القرآن.

٧. إنّ التسليم بوجود اللغة العامة ينفي وجود المسمّيات الأخرى بالنسبة للغة العربية؛ فلا لغة مشتركة ولا لغة نواة ولا لغة أدبية ولا غير ذلك، بل لغة واحدة تستجيب لكلّ الظروف وتلبّي كافة الحاجات. هذا أولاً، وثانياً إنّنا نستطيع تفسير كافة الظواهر اللغوية التي حيّرت الدارسين لعربية ما قبل الإسلام، كالتشابه الموجود في الشعر الجاهلي والنصوص الأدبية الأخرى، وأهمها الخطب الكثيرة قبل الإسلام وبعده، وانتشار تلك النصوص في شرق الجزيرة العربية وغربها وشمالها وجنوبها، وذلك لكونها مفهومة من قبل الجميع؛ فلا الذين قدموا المدينة على الرسول (ص) كانوا يواجهون صعوبات ولا الذين خرجوا منها لنشر الدعوة وترويج الأحكام الإسلامية.

٨. بقيت مسألة مهمّة ترتبط بمسألة نزول القرآن لم يتناولها البحث لضيق المجال، حيث تحتاج لبحث مستقل، ألا وهي مسألة من هو أوّل من طرح مسألة اللهجة التي نزل بها القرآن ومتى ولماذا، وهل للسياسة من ذلك نصيب؟ أتمنّى أن يأتي من يُكمل المشوار أو تُسعفني ظروفي لأجد أجوبة لتلك الأسئلة.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

أ. العربية:

١. ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخران، (د. ط)، القاهرة: دار المعارف، (د. ت).

٢. أرقه دان، صلاح الدين. **مختصر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي**، الطبعة الثانية، بيروت: دار النفائس، ١٤٠٧ه- ١٩٨٧م.

٣. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. **معجم تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد علي النجار، (د. ط)، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٤ه- ١٩٦٤م.

٤. أنيس، إبراهيم وآخرون. **المعجم الوسيط**، الطبعة الخامسة، طهران: مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٤١٦ه- ١٣٧٤ش.

٥. البستاني، بطرس. **أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، (د. ط،)، بيروت: دار نظير عبود، ١٩٨٩م.

٦. بروكلمان، كارل. **تاريخ الأدب العربي**، تعريب الدكتور عبد الحليم النجار، الطبعة الثانية، إيران (قم): دار الكتاب الإسلامي، (د.ت).

٧. بلاشير، د.ر. **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني، (د.ط)،دمشق:دارالفكر،١٤١٩ه-١٩٩٨م.

٨. الجندي، أحمد علم الدين. **اللهجات العربية في التراث**،(د. ط)، القاهرة: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م.

٩. حسين، طه.**في الشعر الجاهلي**،(د. ط)،سوسة- تونس:دارالمعارف للطباعة والنشر، ١٩٢٦م.

١٠. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، (د. ط)، القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٧ه- ٢٠٠٦م.

١١. السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرح وتعليق: محمد أحمد جاد المولى وآخران، (د. ط)،بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٦م.

١٢. الشريف الرضي، أبو الحسن محمد. **نهج البلاغة**،تحقيق صبحي الصالح، (د. ط)، قم: انتشارات الهجرة، ١٣٩٥ه.

١٣. الرافعي، مصطفى صادق. **تاريخ آداب العرب**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١ه-٢٠٠٠م.

١٤. ضيف، شوقي. **تاريخ الأدب العربي- العصر الإسلامي**، الطبعة الثانية، إيران (قم): ذوي القربى، ١٤٢٧ه.

١٥. ضيف، شوقي. **تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي**، الطبعة الثانية، إيران (قم): ذوي القربى، ١٤٢٧ه.

١٦. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ه-٢٠٠١م.

١٧. عبد التواب، رمضان. **فصول في فقه العربية**، الطبعة السادسة، القاهرة: مطبعة الخانجي، ١٤٢٠ه-١٩٩٩م.

١٨. علي، جواد. **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، الطبعة الثانية، بغداد: جامعة بغداد، ١٤١٣ه-١٩٩٣م.

١٩. الفاخوري، حنّا. **الجامع في تاريخ الأدب العربي**، الطبعة الثالثة، إيران (قم): منشورات ذوي القربى، ١٤٢٧ه.

٢٠. فروخ، عمر. **تاريخ الأدب العربي(الأدب القديم)**، الطبعة الرابعة، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١م.

٢١. فريحة، أنيس. **نظريات في اللغة**، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١م.

٢٢. المجلسي، محمد باقر. **بحار الأنوار**، الطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣ه- ١٩٨٣م.

٢٣. المطلبي، غالب فاضل. **لهجة تميم وأثرها في العربية الموحّدة**، (د. ط)، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٣٩٨ه.

٢٤. يعقوب، إيميل وآخران. **قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية**، ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

ب. الفارسية:

١. آذرنوش، آذرتاش. **راههای نفوذ فارسی در فرهنگ و زبان عرب جاهلی**، تهران، چاپ دوم، انتشارات طوس، ١٣٧٤ش.

المقالات:

١. قدوري، غانم. **رأي في تكوّن الفصحى قبل الإسلام**، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد٤٨، السنة ١٩، ١٩٩٥م.

المصادر الإنترنتية:

١. أحمد، عبد اللطيف ذياب.**القرآن الكريم والعرب**، موقع الركن الأخضر،
http://www.grenc.com/show_article_main.cfm?id=16270.

٢. الحمد، قدوري، **تكوّن العربية الفصحى**، موقع مجمع اللغة العربية الأردني،
www.majma.org.jo/majma/index.php/2009-02-10-09-36-00/549-48-1.html.

٣. العبدلاوي، قدور. **اللهجات العربية القديمة وأثرها في التراث الشعري**، موقع منبر الدكتور محمد عابد الجابري،
www.alimbaratur.com/index.php?option=com_content&id=1330&Itemid=8

٤. العبيدان، موسى مصطفى. **اللغة الموحّدة ولهجات القبائل**، موقع بني تميم،
www.bnitamem.com/vb/showthread.php?t=40518.

٥. منتديات نور العترة/ www.noraletra.com.

لهجه ای که قرآن به آن نازل شد: نگاهی نو

شاکر عامری*

چکیده:

خداوند متعال زبان عربی را بر اساس حکمت، درایت و تدبیر به عنوان دربرگیرندۀ معجزات و چارچوبی برای کرامت های خود برگزیده است. لهجه های متعدد عرب ها در زمان نزول قرآن باعث شده است که پژوهشگران در مورد لهجه ای که قرآن به آن نازل شده است اختلاف نظر داشته باشند.

پژوهش پیش رو ابتدا در خصوص جایگاه مکۀ مکرمه و بازارهای آن قبل از اسلام بحث می کند سپس برخی از اصطلاحات ضروری مانند: زبان، لهجه، زبان مشترک، زبان هسته، زبان یکپارچه و زبان عمومی را توضیح می دهد.

لهجه های عربی هنگام نزول قرآن به حدی از تشابه رسیده بودند که می توان یک زبان عمومی با بیش از 90% اشتراکات این لهجه ها دست یافت. وجود لهجه های متعدد در زبان عربی باعث گسترش این زبان شد؛ بگونه ای که این مسأله به روشنی در تألیف فرهنگ لغت های غنی زبانی از لحاظ صرف و نحو و غیره نمود پیدا می کند. این پژوهش به اثبات این مسأله می پردازد که لهجه ای که قرآن کریم به آن نازل شده لهجۀ مخصوص قریش نبوده است بلکه یک لهجه یا زبان عام می باشد به عبارت بهتر زبان فصیحی که امروزه عرب ها به آن زبان سخن می گویند بوده است که برخی از تغییراتی - که در طول تاریخ روی آن صورت گرفته- از آن حذف شده است. و تمام دلایلی که در مورد سیطرۀ لهجۀ قریش بیان شده است دلایل نادرست و نادقیقی می باشد که بدون هیچگونه دلیل و مدرکی بیان شده است.

کلید واژه ها: قرآن کریم، لهجه، زبان عامیانه.

** - استادیار، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه سمنان، سمنان، إیران. (sh.ameri@semnan.ac.ir)
تاریخ دریافت: 1392/03/07هـ.ش= 2013/05/28م تاریخ پذیرش: 1393/10/29 هـ.ش= 2015/01/19م

The Quran was Revealed in Conversational Arabic

Shaker Amery*

Abstract

Allah, because of His wisdom and omniscience chose Arabic as a framework and expression of His greatness and miracles. The multitude of Arabic dialects at the time of the revelation of the Quran has caused the scholars to disagree on the dialect in which the Quran was revealed. This study first discusses the status of Mecca and its Bazaars before Islam. Then, it explains some important terms: language, dialect, lingua franca, core language, and colloquial language. Arabic dialects were so similar at the time of revelation of the Quran there was a commonality of 90 percent. The existence of many dialects caused the spread of Arabic language. This could be seen in the compilation of rich and comprehensive dictionaries and grammar books. This article tries to prove that the dialect of revelation was not that of Qureish but a common one. It was the fluent dialect people conversed in it. Of course, some changes have happened to the language of the people. All reasons put forth claiming that the dialect of Qureish dominates the Quran are false, inexact and based on no proofs.

Keywords: The Holy Quran, Dialect, Colloquial Language

*- Assistant Professor, Semnan University, Iran.